أصل اللغة بين (ابن جني) و(جان جاك روسّو)

الدكتور
جبار اهليل زغير
جامعة ميسان ـ كلية التربية الأساسية

توطئة:

قرأت في كتاب: (محاولة في أصل اللغات) لـ: (جان جاك روسّو) نصاً يقول فيه : " **لقد كانت اللغة المجازية هي أول ما تولد ، أما الدلالة الحقيقية فكانت آخر ما اهتُدي إليه . فإن الأشياء لم تُسمّ باسمها الحقيقي إلا عندما تمت رؤيتها في شكلها الحقيقي** "(١) . ما جعلني أقرن بينه وبين رأي مشابه لـ (ابن جني) في (الخصائص) يقول فيه:" **اعلم أن أكثر اللغة مع تأمله حقيقة لا مجاز . وذلك عامة الأفعال ، نحو قام زيد ... وجاء الصيف وانهزم الشتاء...ألا ترى أن الفعل يفاد منه معنى الجنسية ، فقولك : قام زيد ، معناه : كان منه القيام أي هذا الجنس من الفعل ، ومعلوم أنه لم يكن منه جميع القيام...**"(٢). هذه المشابهة رسخت فيّ فكرة هذا البحث في الموازنة والمقاربة بين آرائهما في أصل اللغة بعيداً عن(الحقيقة والمجاز).

لقد ذهب بعض الباحثين إلى أنّ البحث في أصل اللغة كانت نتيجته دائما سلبية ؛ إذ لم يهتدوا ـ قدماء ومحدثين ـ في كل ما بذلوه من جهد بحث وافتراض فروض إلى رأي يطمئنون إليه بدءاً من فلاسفة اليونان والمتكلمين ، مروراً بعلماء العصور الوسطى وما بعدها ، حتى إذا دخل القرن العشرون انصرفوا عن هذا النوع من البحث وعدّوه من مسائل ما وراء الطبيعة(٣) . ويرى بعض المحدثين أنّ البحث في أصل اللغة وإنْ كان من مسائل علم اللغة فإنّ الذين يكتبون فيه يهيمون في تَيْهٍ من الضلال(٤)، وإنه في حكم الغامض المجهول(٥) . وقد قال علماء الأصول العرب عن هذه القضية:"ذكرها في الأصول فضول"(٦).

ولعل السبب في ذلك يرجع إلى " أنّ المشكلة الحقيقية في هذا الموضوع هي المرحلة الواقعة بين توليد الكلمات وابتكارها بدافع الحاجة وبين صيرورة هذه الكلمات عرفية تقليدية"(٧) ، ومن ثَم فإنّ هذه المرحلة مازالت تنتظر كثيراً من التفسير والتوضيح(٨)، ما دفع بباحثين آخرين إلى القول بأنّ التوقف عن البحث في أصل اللغة إلغاء للتأريخ(٩) ، ولا بُدَّ من الاستمرار ريثما يقدم لنا العلم نظرية جازمة في أصل النشأة ذلك أنّ أصل اللغة يرجعنا إلى أصل نشأة الإنسان التي تقترن بها نشأة اللغة ، وإما أنْ نتقبل مقولة غير مقولة العلم متخلّين بذلك عن لباس العلم(١٠).

و(جان جاك روسّو) ـ أحد مظنتي البحث ـ من دعاة هذا الرأي ، يقول:"**وإني لمقدم هنا على استطراد طويل في موضوع قد أكل عليه الدهر وشرب حتى صار (مبتذلا). ومع ذلك فلا بدّ من الرجوع إليه دائماً حتى نقف على أصل المؤسسات الإنسانية**"(١١) .

وهذا البحث يوازن بين آراء لـ (روسّو) في أصل اللغة ضمّنها في كتاب سمّاه:(محاولة في أصل اللغات) ، وبين آراء عالم العربية الفذ: (ابن جني) التي جاءت في موسوعته :(الخصائص) ، حيث يقترب في بعضها منه ويبتعد في أخرى ، يعرضها الباحث على وفق ما تمليه هكذا دراسة في بيان المتشابه منها والمختلف ، وأحيانا مناقشتها ، أو بيان الراجح منها اعتمادا على كتب أخرى ـ قديمة وحديثة ـ أو اجتهاداً منه وهذه هي سنن البحث الأكاديمي.

ومع محاولة الباحث في الاختصار والتشذيب إلا أنّ الاضطرار دفعه إلى ذكر بعض تفاصيل قد أَلِفها المتخصصون كذكر أشهر نظريات نشأة اللغة ، وما كان هذا إلا توضيحاً لأراء هذين العلَميْن وموازنتها بها. وفي نهاية البحث مستخلَص لنتائجه ، ثم جريدة بالمصادر والمراجع.

اللغة والبحث في أصلها:

اللغة جزء من بنية الكون وهي ملك لجميع أبنائها ، إذ تلازم الإنسان منذ طفولته، حتى يتصور وكأنها تطوّر بيولوجي طبيعي أشبه بالأكل والشرب والمشي والنوم...(١٢). ومفهومها يستوعب كل ما له صلة بفعل الكلام ، أو من خلال وضع الكلمة في عملية الخطاب(١٣) . وهي صورة لحياة الأمة بتقاليدها واتجاهاتها الدينية والاجتماعية وبجميع نظمها ، وهي التي تقرر نظرة الإنسان للعالم ؛ إذ إنها مرتبطة بالثقافة ارتباطا وثيقا(١٤)، كما أنها تتصل بخصوصية البشر وطبيعة العقل ؛ لأنّ الإنسان يُحدّد باللغة والعقل ، وبدون لغة لا يمكن للعقل أنْ يوجد(١٥) .

ويرى علماء اللغة والاجتماع أنّ " للغة نشأتان : نشأة حينما أخذ الإنسان يلفظ أصواتاً مركبة ذات مقاطع وكلمات متميزة للتعبير عمّا يجول بخاطره من معان وما يحسّه من مدركات ، ونشأة حينما يشرع الطفل يقلّد أبويه والمحيطين به فيما يلفظونه من مفردات وعبارات فتنتقل إليه لغتهم عن هذا الطريق"(١٦). على أنّ كثيراً من هؤلاء العلماء لم يعرفوا أو يتيقّنوا على أية صورة ومتى وأين ابتدأ الكلام الإنساني على الرغم من وجود افتراضات عدة في هذا الموضوع(١٧).

ومن الذين أنعموا نظرهم في هذه الافتراضات (النظريات) وأعملوا فكرهم فيها : مظنتا البحث:(ابن جني) و (جان جاك روسّو).

اللغة والكلام:

يفرق علم اللغة الحديث بين اللغة والكلام إذ إنّ اللغة تنظيم كامن عند مَن يتكلمونها،أما الكلام فهو تحقيق اللغة عند فرد ما[١٨] .أي أنّ (اللغة): نظام ومجموعة من قوانين استنبطت من كلام الأوائل ، ومن ثم صار لزاماً على الناطقين المتأخرين الالتزام بها . فالكلام أسبق من اللغة .

أما سبب تسمية البحث بـ :(أصل اللغة) و ليس:(أصل الكلام) ؛ فلأمرين ، **الأول** : إنّ (ابن جني) عقد باباً في الخصائص سمّاه:(باب القول على أصل اللغة أإلهام هي أم اصطلاح؟) .

والآخر : لأنّ (جان جاك روسّو) قد سمّى كتابه: (محاولة في أصل اللغات) ، ولم يقل :(أصل الكلام) .

على أنّ (الكلام) مصطلح استعمله علماء العربية القدماء ، يقول عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) ـ وهو يبيّن أهميته ـ:" اعلم أنّ الكلام هو الذي يعطي العلوم منازلها ، ويبين مراتبها ، ويكشف عن أسرارها ، ويجني صنوف ثمرها...وبه أبان الله تعالى الإنسان من سائر الحيوانات...فلولاه لم تكن لتتعدى فوائد العلم عالمه ، ولا صحّ من العاقل أن يفتق عن أزاهير العقل كمائمه ، ولتعطلت قوى الخواطر والأفكار من معانيها..."[١٩]. وكانوا يبتدئون أبواب كتبهم النحوية بـ :(الكلم) أو(الكلام) وما يتألف منه[٢٠].

أما المحدثون فيسمّي أغلبهم اللغة (الأولى) كلاماً ، وإذا تحدثوا عن نشأة اللغة قالوا:نشأة الكلام[٢١].

والراجح ـ في نظر الباحث ـ أنّ (الكلام) أدق تسمية من(اللغة) إذا أردنا النشأة؛ لأنّ اللغة وهي القوانين ـ بحسب التفرقة الحديثة بين المصطلحين ـ لم تكتمل إلا في عصور متأخرة جداً عن أوّليتها بعد أن تطورت المجتمعات وكثُر أفرادها ، إذا ما أخذنا بالحسبان الطبيعة الفردية للمجتمعات الأولى ونشأة الكلام عند الطفل [٢٢] . كما أنّ مفهوم (اللغة) يشمل لغة الإشارة و لغة الصم والبكم ، وهذا مما لا تتناوله بحوث النشأة لأنها استثناء من قاعدة والقاعدة هي نطق الأصوات ، فضلا عن أنّه يدخلنا في معترك البحث في العلاقة بين اللغة والفكر أو اللغة والإدراك(الكلام النفسي) ، على الرغم من أنّ بعض المحدثين يرى أنّ لغة الإشارة لدى الصم كبيرة الشبه بما عند الناطقين من الناحية التركيبية ، وأنّ مجرى اكتسابهما متشابه جداً[٢٣].

بين (ابن جني) و (جان جاك روسّو):

لابن جني فرادة في البحث اللغوي عند العرب ، وتعريفه الخالد للغة دليل على هذه الحقيقة ، فهي عنده :" **أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم**"[٢٤] ، إذ لم يأت الباحثون ـ القدماء والمحدثون ـ إلى ما يخالف أو يشطّ أو يُظهر خللاً في هذا التعريف ، فأولية اللغة: أصوات ، وكلماتها عبارة عن رموز صوتية ، وقوله : (كل قوم) يبيّن الصفة الاجتماعية للغة ، إذ إنّ القوم في اللغة : الجماعة من الناس[٢٥].

واللغة عند المحدثين :" نظام من الرموز الصوتية العشوائية التي تتعاون عن طريقها جماعة ما"(٢٦) ، أو هي:" ظاهرة بسيكلوجية اجتماعية ثقافية مكتسبة...تتألف من مجموعة من رموز صوتية لغوية اكتسبت عن طريق الاختيار معاني مقررة في الذهن، وبهذا النظام الرمزي الصوتي تستطيع جماعة ما أن تتفاهم وتتفاعل"(٢٧).وهي عند(سوسير):"نتاج اجتماعي لملكة اللسان ومجموعة من التقاليد الضـــرورية التي تبناها مجتمع ما ليساعد أفراده على ممارسة هذه الملكة"(٢٨).

وإذا كانت التعريفات تؤكد على (صوتية اللغة) ، وأنّ الصوت أيسر تجليات اللغة وأكثر اقتصاداً في الوقت والجهد حيث يمكن استخدام أعضاء الجسم الأخرى ـ غير أعضاء النطق ـ أثناء الكلام(٢٩) ، فإنّ(جان جاك روسّو) ـ وإنْ لم يكن له تعريف واضح للغة ـ يرى أنّ لغة الإشارة أيسر من لغة الصوت وأقل خضوعاً للمواضعات ! والسبب عنده: أنّ" **ما يمثل إلى أبصارنا من الأشياء أكثر مما يبلغ منها إلى مسامعنا ، والأشكال أشدّ تنوعاً من الأصوات ، كما هي أشد تعبيراً وأكثر إيحاءً في أقل وقت**"(٣٠)، ويضيف:أننا " **نخاطب العيون أحسن مما نخاطب الآذان...بل إننا لنرى أنّ أبلغ الخطب هي تلك التي نضمّنها أكثر ما يمكن من الصور ، وأن لّيس للأصوات من القوة أكثر مما لها عندما تفعل فعل الألوان**"(٣١) ، ثم يبين أنه لولا الحاجات الطبيعية لأمكننا الاستغناء عن الكلام والاكتفاء بلغة الإشارة ، يقول :"**إنه لو لم تكن لنا قطّ غير حاجات طبيعية لأمكننا جدا أن لا نتكلم أبدا وأن نّتفاهم على التمام بمجرد لغة الإشارة، ولكان بمقدورنا أن نّقيم مجتمعات لا تختلف كثيراً عما هي عليه اليوم**"(٣٢) . إنّ ما ذكره(روسّو) من دلالة للإشارات لا يمكن أنْ تتحقق من دون اقترانها بالكلام المنطوق أو بما اختزنته ذاكرة كل من المرسل والمتلقي من معان لوحدات لغوية (كلمات أو إشارات) متواضَع عليها ، والدليل أنّ الأبكم لا يمكنه أن يفصح بإشارات عما بداخله أيّما إفصاح كما يفعل الشعراء مثلاً في نظمهم ، إذ تتلذذ الأسماع بها بعد أنْ تلوك الألسن الألفاظ وهي متسقة بأجمل الأساليب . فالكلام المنطوق هو الأصل ، أما الإشارة فتابعة له ؛ لأن صفة البيان والبلاغة ستختفي مع الإشارة وتكون حينها أخسّ مراتب البيان(٣٣). وهو نفسه قد فطن إلى هذا الأمر متسائلا: " **هل كان الناس قبل هذا الزمان يولدون من التراب؟**"(٣٤) ، ثم يفترض أنّ لغة العائلات ليس هي نفسها لغة الأمم ، يقول:" **كان ثمة عائلات ولم يكن ثمة أمم أبدا ، كان ثمة لغات أهلية ولكن لم يكن أبداً ثمة لغات شعبية، كان ثمة زواج ولكن لم يكن ثمة حب أبدا ، لقد كانت كل عائلة تكتفي بنفسها وتبقى من دون أنْ تختلط بغير دمها**"(٣٥) . ومع قوله هذا إلا أننا نجده يناقض نفسه في مكان آخر كما في الصفحة اللاحقة من البحث.

وإذا كان (ابن جني) لم يفرد مراحل اللغة بالحديث ـ بيد أن هذا قد يفهم من كلامه على التواضع والاصطلاح ـ فأنّ غيره من علماء العربية ذكر هذا ، يقول(ابن فارس ٣٩٥هـ) :" ولعل ضاناً يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد وليس الأمر كذلك ، بل وقّف

الله جل وعزّ آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه ، وانتشر من ذلك ما شاء الله"[٣٦] . .

إنّ (جان جاك روسّو) يعتقد أنّ الأهواء والحاجات الأدبية قد أملت على البشر أول التصويتات وهي التي دفعته إلى تعلم اللغة ، يقول :" **لقد كانت الفتيات يأتينَ لورود الماء للعائلة ، وكان الفتيان يأتون لسقي قطعانهم ، هناك طفقت العيون التي قد تعودت رؤية نفس الأشياء منذ الصبا ، ترى من الأشياء ما هو أحلى فتأثر القلب لرؤية هذه الأشياء الجديدة ... وإذا به يحس بلذة أن لا يكون وحيدا ...فتعلموا الإفصاح عن مقاصدهم لأنهم سعوا إلى أن يفهموها ، هناك انعقدت أولى الاحتفالات فكانت الأرجل تنطّ من الفرحة ، لم تعد الإشارة العجلى تكفيها ، فرافقها الصوت بنبرات هائمة**"[٣٧].

إنّه افتراض غريب حقاً! فكيف وصلا إلى الماء ؟ ألم يخرجا من أسرة ؟ وكيف تتفاهم الأسرة فيما بينها ؟ فضلاً عن أنّه يناقض كلامه الذي بيّن فيه أفضلية الإشارة على الكلام [٣٨]، ليقول هنا: " **لم تعد الإشارة العجلى تكفيها ، فرافقها الصوت بنبرات هائمة**"!

نظريات نشأة اللغة :

يرى بعض الباحثين أن لا مشكلة في البحث عمّن أنشأ اللغة ، ولا عن الأسباب التي دعت إلى نشأتها ، وإنما المشكلة تكمن في الصورة الأولى التي ظهرت بها أصوات اللغة مركبة ذات مقاطع متميزة(الكلمات) ، ومن ثم في الأسلوب الذي سار عليه الإنسان ابتداء في تسمية الأشياء بوضع أصوات معينة لمسميات خاصة[٣٩]. وأهم ما قيل من نظريات في نشأة اللغة[٤٠]:

١ـ نظرية الإلهام أو التوقيف الإلهي ، وأشهر من نادى بها في العصور القديمة:الفيلسوف اليوناني هيراكليت(Heraclite) ، وفي العصور الوسطى: من العرب(أحمد ابن فارس) ، وفي العصور الحديثة : الأب لامي(lami) والفيلسوف دوبونالد(De bonald).

٢ـ نظرية المواضعة والإصطلاح ، وأشهر أصحابها: في العصور القديمة : الفيلسوف اليوناني ديمو كريت(De mokrit) ، وفي العصور الحديثة الفيلسوف الإنجليزي آدم سميث(Adam smith).

٣ـ النظرية الغريزية (نظرية الحاجات) ، وقد قال بها بعض المحدثين الغربيين وأشهرهم الألماني : ماكس مولر(Max muller) ، والفرنسي:رينان(Renan).

٤ـ نظرية محاكاة أصوات الطبيعة ، ولم تذكر الكتب من قال بها في العصور القديمة، و(ابن جني)أشهر من قال بها في العصور الوسطى ، وفي العصور الحديثة : وتني(Whitney).

وللعالمان: (ابن جني) و (جان جاك روسّو) آراء في أصل اللغة ، وافقوا في بعضها أسلافهم ، وانمازوا في أخرى عنهم ، فابن جني تحدث عن هذا الموضوع في(باب القول على اللغة أإلهام هي أم اصطلاح؟) في كتابه:(الخصائص) ، وألّف (جان جاك روسّو) كتاباً سمّاه:(محاولة في أصل اللغات).

إنّ(ابن جني) في حديثه عن أصل اللغة ـ وإنْ ذكر بعض اللغات ـ قد خصّ به العربية[٤١] ، أما (روسّو) فقد تحدث عن اللغات بصورة عامة . على أنّ كلاً منهما قد اعترف بوعورة الطريق الذي سلكه ، يقول (ابن جني):"**هذا موضع محوج إلى فضل تأمل**"[٤٢]. أما (روسّو) فيتضح موقفه من اسم كتابه:(محاولة...) الذي به دليل على أنه افتراضات أملته عليه ثقافته وعلمه معترفاً بأنّه موضوع سُبِق إليه و" **قد أكل عليه الدهر وشرب حتى صار مبتذلاً ، ومع ذلك فلا بدّ من الرجوع إليه دائما ، حتى نقف على أصل المؤسسات الإنسانية**"[٤٣].

لقد اقتصر عرض (ابن جني) لفرضيات أصل اللغة ـ كما في عنوان الباب الذي عقده على الإلهام(التوقيف) و الاصطلاح . أما فرضية محاكاة الأصوات فقد جاءت في ضمن حديثه عن المواضعة والاصطلاح ، وقد حكاها عن آخرين مادحا القائلين بها ضمناً، إذ نعت القائلين بالتواضع والاصطلاح بـ :(أهل النظر) ، أما القول بالتوقيف فقد سمعه من أستاذه (أبي علي الفارسي ٣٧٧هـ) وامتنانه له معروف ، ولو لم يقنع بالقائلين بمحاكاة الأصوات لَما قبِل مذهبهم وصلُح وجهه عنده[٤٤].

أما(جان جاك روسّو) فقد أرسل آراءه من دون أن يذكر أسماء لغويين أو فلاسفة سابقين له أو معاصرين كما اتضح من قراءة كتابه والتدبر فيه .

لقد بدا (ابن جني) متردداً في قبول أي فرضية ، ويظهر أنّ ذاكرته اختزنت القول بالتوقيف أولاً ثم المواضعة والاصطلاح ، يتضح هذا من قوله :" **إنّ أكثر أهل النظر على أنّ أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي و توقيف**"[٤٥]. فقد رجح هذا القول بدءا، ثم استثنى قول أستاذه بالتوقيف ، يقول:" **إلا أنّ أبا علي رحمه الله ، قال لي يوما : هي من عند الله** ، واحتج بقوله تعالى:(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا) البقرة:٣١"[٤٦]. وذكر أنّ أبا علي يجوّز أن يكون معنى الآية المباركة : أنّ الباري عزّ و جلّ قد أعطى آدم القدرة على المواضعة وهو قول (الأخفش ٢١٥هـ) ، يقول:"**وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أقدر آدم على أن واضع عليها ؛ وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة...وقد كان أبو علي رحمه الله أيضا قال به في بعض كلامه ، وهذا أيضا رأي أبي الحسن**"[٤٧].

إنّ (ابن جني) وإن لم يتبنَّ التوقيف بدءاً إلا أنه مع تقادم الوقت ودوام البحث في العربية لايملك إلا أن يعتقد بأنها من عند الله ـ تعالى اسمه ـ لما فيها من حكمة ودقة وإرهاف ، يقول:" **واعلم فيما بعد ، أنني مع تقادم الوقت ، دائم التنقير والبحث عن هذا الموضع ، فأجد الدواعي والخوالج قوية التجاذب لي ، مختلفة جهات التغول على فكري. وذلك أنني إذا تأملت هذه اللغة الشريفة ، الكريمة اللطيفة ، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاف ، والرقة ، ما يملك عليَّ جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر...فقوي في نفسي اعتقاد كونها توقيفا من الله سبحانه ، وأنها وحي**"[٤٨]. ثم يبين تردده بقوله: " **ثم أقول في ضدّ هذا: كما وقع لأصحابنا ولنا ، وتنبّهوا وتنبهنا ، على تأمل هذه الحكمة الرائعة**

الباهرة...فأقف بين تيْن الخلتين حسيرا، وأكاثرهما فأنقلب مكثورا. وإنْ خطر خاطر فيما بعد ، يعلق الكف بإحدى الجهتين ، ويكفهما عن صاحبتها قلنا بها وبالله التوفيق"(٤٩). ورأي أبن جني هذا في العربية فقط ، أما في غيرها فإنه يميل إلى أنّ اللغة من أصوات المسموعات(٥٠).

أما (جان جاك روسّو) وبعد أن يعرض أهمية أعضاء النطق في الإنسان التي لها صلة في ما يسميه الغربيون بـ :(النزعة الفطرية) ـ وهي التوقيفية عينها ـ الناتجة"عن وجود جهاز فطري لتعلم اللغة يتميز به الجنس البشري"(٥١)، ومع أن أصحاب هذه الفرضية(النزعة الفطرية) يعتمدون "على ملاحظات عامة جداً"(٥٢)، فإنه يسمي هذه (النزعة) : المَلَكة ، يقول:" **إنّ اختراع فن تبليغ أفكارنا ليس مديناً للأعضاء التي تخدم هذا التبليغ بقدر ما يرجع إلى (ملكة) تخص الإنسان هي التي تجعله يستخدم لتلك الغاية أعضاءه**"(٥٣) .

وهنا لابدّ من استفهام يشغل بال متدبّر نص (روسّو) هو: من أين تتأتى (النزعة الفطرية) أو (المَلَكة) للإنسان؟، أليست هي من البارئ المبدع جلّ شأنه؟!.

إنّ(روسّو) يعترف صراحة ـ في موضع آخر من كتابه ـ أنّ اللغة بدأت توقيفاً من الله ، ثم جاء أثر الطبيعة والحياة التي يعيشها الإنسان ليكون العامل الأساس في نشأة اللغة ، يقول :" **لقد كان آدم يتكلم ، وكان نوح يتكلم ، فليكن! أما آدم فقد علمه الله ذاته ، وأما أبناء نوح فقد تركوا الفلاحة عندما تفرقوا فاندثرت اللغة المشتركة باندثار المجتمع الأول**"(٥٤) !

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنّ قضية (الملكة) أو (النزعة الفطرية) أو (الهبة الإلهية) في نشأة اللغة قد سبقت(روسّو) ومن قبله علماء العربية القدماء بكثير ولاسيما عند علماء الدلالة الهنود وغيرهم(٥٥).

وهذا يدفع الباحث إلى القول بأنّ المعقول في تفسير الآية المباركة:" وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا".البقرة: ٣١، هو ما ذهب إليه(أبو علي الفارسي) و (الأخفش) ـ كما ذكر ابن جني ـ وكما يفهم من كلام (ابن فارس) السابق من أن التوقيف لا يعني أن اللغة نزلت جملة واحدة(٥٦) ، بل أعطى الخالق تبارك وتعالى الإنسان القدرة على اشتقاق الأسماء وإلصاقها بمسمياتها على رأي بعض المفسرين أيضا(٥٧). وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في آيات أخر، كما في قوله تعالى :" أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم"الأعراف :٧١، وقوله تعالى:" مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم" .يوسف:٤٠، وقوله تعالى:"إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم"النجم:٢٣؛ ومن ثم فإن الآية المباركة أساس لكل الفرضيات .

وحتى الفلاسفة التجريبيون يرون أنّه " مازال كل منا يملك الحرية ذاتها التي كان يتمتع بها(آدم) في إسناد أي اسم لأي فكرة"(٥٨) ، وهذا وثيق الصلة بما اصطلح عليه اللغويون بـ :(نظرية المواضعة والاصطلاح) التي يقول بها بعض العرب المحدثين(٥٩)، وقد ذكرها قديماً(ابن جني) ولم يرجحها ،

وافترض عمل الناس في تسمية الأشياء بما يُشبه عمل المجامع اللغوية في العصر الحديث ، يقول: " **إنهم ذهبوا إلى أنّ أصل اللغة لابدّ فيه من المواضعة ، قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً ، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات ، فيضعوا لكل واحد منها سمة ولفظا ، إذا ذُكر عُرف به مسماه ، ليمتاز بها غيره...فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني آدم ، فأومئوا إليه ، وقالوا: إنسان إنسان إنسان ، فأي وقت سُمع هذا اللفظ عُلم أنّ المراد به هذا الضرب من المخلوق ، وإنْ أرادوا سمة عينه أو يده أشاروا إلى ذلك ، فقالوا: يد ، عين ، رأس ، قدم ، أو نحو ذلك . فمتى سُمعت اللفظة من هذا عُرف معنيّها ، وهلم جرّاً فيما سوى هذا من الأسماء ، والأفعال ، والحروف**"[٦٠]. على أنّ هذا التواضع لا ينقله القادر سبحانه إلى بني البشر " **إذ قد ثبت أنّ المواضعة لا بدّ معها من إيماء وإشارة بالجارحة نحو المومأ إليه ، والمشار نحوه ، والقديم سبحانه لا جارحة له...فبطل عندهم أنْ تصح المواضعة على اللغة منه ، تقدست أسماؤه ، قالوا : لكن يجوز أن ينقل الله اللغة التي قد وقع التواضع بين عباده عليها**"[٦١] .

أما(جان جاك روسّو) فلم يذكر هذه النظرية ؛ لأنها تتعارض مع ما ذكره من مراحل لتطور اللغة وأنها بدأت بالإشارة ، فضلاً عن أن لا مجتمع للناس حينذاك إلا مجتمع الأسرة التي اكتفت بالإيماءة والإشارة ـ بحسب رأيه ـ ، يقول: " **لم يكن للبشر المشتتين على وجه الأرض في الأزمنة الأولى من مجتمع إلا مجتمع الأسرة،ولم يكن لهم من القوانين إلا قوانين الطبيعة ومن اللغة إلا لغة الإيماءة وبضعة أصوات غير متمفصلة لم تكن تربط بينهم أية فكرة الأخوة المتبادلة**"[٦٢].وقد ضرب مثلاً كيف كانت الفتيات يأتينَ الماء لورود الماء للعائلة ويلتقينَ الفتيان...[٦٣].

إنّ(روسّو) بهذا الرأي يخالف المحدثين الذين يروْن"أنّ علامات الاتصال بحد ذاتها اصطلاحية بالأساس ، فمعناها ينشأ دائماً عن توافق بين الذين يستخدمونها"[٦٤].

ومناقشة لرأي(روسّو)السالف نقول: أليست عملية اللجوء إلى الألفاظ بدل الإشارة في إيصال الأحاسيس إلى الأخر وقبولها من الطرفين عملية تواضع واصطلاح؟! لا شكّ في أنها كذلك.

واعتماداً على ما مرّ يرجح الباحث مايمكن تسميته بفرضية أو نظرية :(**المواضعة والاصطلاح التوقيفية**) في نشأة الكلام ، إذ أعطى الله تبارك وتعالى الإنسان القدرة على تسمية الأشياء من حيث وجود الفكر والأعضاء التي يستطيع بها أن ينطق أصوات الكلمات . وعملية الفهم والإفهام هي المواضعة والاصطلاح.

وعرض (ابن جني) كذلك لنظرية محاكاة أصوات الطبيعة نقلاً عن (بعضهم) ثم تلقّف هذا الرأي بالقبول والصلاح ، يقول :" **وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات، كدوي الريح ، وحنين الرعد ، وخرير الماء ، وشحيج الحمار، ونعيق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونزيب الظبي ونحو ذلك. ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد . وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل**"[٦٥].

وما ما أورده(ابن جني) من كلام في النظرية الصوتية يُعدّ قفزة زمنية سبق بها علماء اللغة المحدثين بأكثر من ألف عام ليقدم لهم ومضة فكر اهتدوا بها إلى ما يقارب رأيه على الرغم من التقدم الحضاري والمخابر الصوتية التي تعينهم على دراساتهم اللغوية الحديثة(٦٦).

أما(جان جاك روسّو) الذي يعتقد بأولية لغة الإيماءة والإشارة على لغة الصوت ـ كما مرّ ـ فلم يذكر النظرية الصوتية التي قال بها كثير من القدماء المحدثين والتي تقوم على أساس العلاقة الفطرية أو الطبيعية بين اللفظ ومعناه ، أو ما يسميه المحدثون: (الاعتباط اللغوي)(٦٧).

وإذا كان المحدثون قد ذكروا فرضية الاستجابة للحاجات الأساسية(الغريزية)(٦٨) التي لم يذكرها(ابن جني) ، فإنّ (روسّو) يرفض هذا الرأي بحجة أنّ ما يفرق الناس لا يمكن أن يجمعهم ، يقول:" **ويدّعي بعضهم أنّ البشر إنما اخترعوا الكلام للتعبير عن حاجاتهم. يبدو أنّ هذا الرأي غير مقبول ، فإن المفعول الطبيعي للحاجات الأولى إنما كان تفريق الناس لا تقريب بعضهم من بعض**"(٦٩).

ومع أن (ابن جني) كان متردداً بين قبول أنْ تكون اللغة من الأصوات المسموعات أو أنها توقيفية من الفاطر(تباركت صفاته)حين خصّ العربية ، نجد أنّ (جان جاك روسّو) يجزم بأنّ أصل اللغة من (الأهواء) أو (الحاجات الأدبية) ، وعنده أنّ اللغة بدأت شعرية عاطفية ، يقول: إنّ الأصل" **هو من الحاجات الأدبية ومن الأهواء. إنّ كل الأهواء تقرّب بين الناس الذين تجبرهم ضرورة البحث عن العيش إلى التباعد ، فلا الجوع ولا العطش انتزعا منهم أول التصويتات ، بل الحب والكره والشفقة والغضب...وذلك ما جعل اللغات الأولى شادية عاطفية قبل أن تكون بسيطة منهجية**"(٧٠)، **والأسباب الأولى التي دفعت الإنسان إلى الكلام هي العواطف ، وفي البداية " لم يتكلم الناس إلا شعراً ولم يخطر ببالهم أن يفكروا إلا بعد زمن طويل**"(٧١).

وأخيراً يتمنى(روسّو) لو أنّ لغة من اللغات الأولى بقيت حيّة لحافظت على خصائص تنماز بها عن غيرها من اللغات ، يقول:" **ولست أشك أبداً في أنّ أولى اللغات لو أنها مازالت حية لظلت ـ بقطع النظر عن مفرداتها وعن قواعد تركيبها ـ محتفظة بخصائص أصلية تميزها عن اللغات الأخرى...سيكون لهذه اللغة الكثير من المترادفات للتعبير عن الشيء نفسه في نسبه المختلفة. ليكوننّ لها القليل من الصيغ الظرفية ومن الكلمات المجردة للتعبير عن تلك النسب عينها ، ولكن ليكوننّ لها من كثرة صيغ التكبير وصيغ التصغير ومن الكلمات المركبة ومن أدوات التحسين الزوائد ما تمنح به من حسن الإيقاع للمقطوعات المتناغمة ومن التصريح للجمل ، ليكونن لها الكثير من مواضع اللحن والشذوذ ، ولتفرطنّ في التناسب النحوي...**"(٧٢).

ومع أمنية (روسّو) هذه يتمنى الباحث عليه لو أنه اطلع على سعة العربية وثرائها في الأساليب والمفردات والصيغ ، لما استعمل الأداة (لو) ولضرب بالعربية مثلا.

إنّ ما تمناه(روسّو) يجعل الباحث يعتذر لعالم العربية الكبير(ابن جني) في تردده من الجزم بكيفية أولية اللغة لأنه المتخصص في العربية والعارف بأساليبها وتنوع علومها ، وكذلك لـ (جان جاك روسّو) الذي اعتقد بأنّ أصل اللغة إنما هو من الأهواء والرغبات العاطفية لأنه عالم بالتربية لا باللغة ، ولأنه لم يبحر في غور العربية .

الخاتمة :

بعد هذا العرض لآراء عالمين كبيرين ، أحدهما لغوي عربي قديم هو:(ابن جني)، والأخر تربوي(سويسري) متأخر عنه كثيراً هو:(جان جاك روسّو) في ما يخص أصل اللغة ، خلص البحث إلى ما يأتي:

- إنّ (الكلام) أدق تسمية من(اللغة) بحسب توصيف علم اللغة الحديث ورائده:(سوسير) لكل منهما إذا أردنا النشأة ؛ لأنّ اللغة ـ وهي القوانين والسنن ـ لم تكتمل إلا في عصور متأخرة عن أوليتها. أما سبب تسمية البحث بهذا الاسم فلأن كلاً من (ابن جني) و (جان جاك روسّو) أطلقا هذا التسمية فقال كل منهما:(أصل اللغة) ، ولم يقولا:(أصل الكلام).
- إذا كان تعريف(ابن جني) للغة:" أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم" الذي يؤكد على صوتية اللغة ، ومنه جاء ترجيحه لفرضية محاكاة أصوات الطبيعةّ في غير العربية ، فإن(روسّو) لم يكن له تعريف واضح للغة ، وعنده أنّ الإشارة أيسر من الصوت وأقل خضوعاً للمواضعات ، وأنّ التصويتات مرحلة لاحقة للإشارات أملتها على الإنسان الأهواء والحاجات الأدبية.
- وفيما يخص فرضيات(نظريات) نشأة اللغة ، يبدو أنّ ذاكرة(ابن جني) اختزنت القول بالتوقيف أولاً ثم المواضعة والاصطلاح . أما حديثه عن فرضية (محاكاة أصوات الطبيعة) فقد جاء عرضاً. أما(روسّو) فلم يذكر(الصوتية)لأنها لا تتسق مع ما افترضه من مراحل لنشوء اللغة حيث ابتدأت بالإشارة بحسب رأيه.
- وإذا كان(ابن جني) يقول بالتوقيف إذا تدبر في العربية وما فيها من سعة ودقة وإرهاف ، فإن (جان جاك روسّو) يعترف ضمناً بأن اللغة توقيفية، وهو ما سمّاه بـ:(الملكة) أو (النزعة الفطرية) التي تنتج عن وجود أعضاء النطق في الإنسان ، إلا أنه لا يرجحها .
- إنّ(روسّو) لم يتبنّ ما افترضه المحدثون في أن الحاجات الأساسية (الأكل ، الشرب...) هي التي دفعت الإنسان إلى الكلام ، وعنده أنّ ما يفرق الناس لايمكن أن يجمعهم.
- وإذا كان (ابن جني) متردداً في قبول القول بفرضية محاكاة أصوات الطبيعة وقال عنه:إنه"وجه صالح ومذهب متقبل"، ثم إذا تدبر العربية رضي بالتوقيف، فإنّ(جان جاك روسّو) يجزم بأن أصل اللغة إنما هو من الأهواء والحاجات الأدبية ، وأنّ اللغة بدأت شاعرية عاطفية.

- وأخيراً يرى الباحث أن قوله تعالى: " وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا" أساس لكل الفرضيات ؛ لأنّ الإنسان بدون ما منّ به البارئ الفاطر(عزّ وجلّ) لا يمكنه أن ينبس بنبت شفة ، ولا أن يؤشر أو يفهم إشارة . ويرجح على ما رآه من معطيات ما يمكن تسـمـيته بـ:(**نظرية المواضعة والاصطلاح التوقيفية**) .

هوامش البحث

(١) ص : ٣٥ .

(٢) ٢: ٢٤٧-٢٤٨.

(٣) ينظر: دلالة الألفاظ:١٣.

(٤) ينظر: اللغة (فندريس) : ٢٩ .

(٥) ينظر: دراسات في فقه اللغة: ٣٥ .

(٦) المزهر:٢٦/١. وينظر:نظرية اللغة في النقد العربي: ٨٩-١٠٥.

(٧) دور الكلمة في اللغة : ٨٨ .

(٨) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٩) ينظر : فلسفة اللغة: ١٢٠ .

(١٠) ينظر : محاولة في أصل اللغات(مقدمة د.عبد السلام المسدي) : ١٠ ـ ١١ .

(١١) المصدر نفسه : ٥٣ .

(١٢) ينظر : أصوات وإشارات : ١٧٨ ، التواصل اللساني والشعرية : ١٣ ، اللغة العليا : ٦ .

(١٣) ينظر: علم اللغة بين القديم والحديث: ١١٤ .

(١٤) ينظر : الآيدلوجيا واللغة : ٣٠١ ، اللغة بين المعيارية والوصفية : ١٥ .

(١٥) ينظر : فلسفة اللغة : ٥ ـ ٧ .

(١٦) علم اللغة: د.علي عبد الواحد وافي :٧٤ .

(١٧) ينظر : أسس علم اللغة : ٣٨ ، علم اللغة(مقدمة للقارئ العربي) : ٥٢ .

(١٨) ينظر : علم اللغة العام : ٣٧ ـ ٣٨ ، أساسيات اللغة : ١١ .

(١٩) أسرار البلاغة : ١ .

(٢٠) ينظر:مثلا : الكتاب :١٢/١، شرح الرضي على الكافية :٣١/١-٣٤، شرح ابن عقيل :١٣-١٦.

(٢١) ينظر: مثلا : دلالة الألفاظ : ١٣ ، علم اللغة : د.علي عبد الواحد وافي : ٨٨ .

(٢٢) ينظر: ص: ٤ من البحث.

(٢٣) ينظر : اللغة والعقل واللغة والطبيعة : ١٠٦ .

(٢٤) الخصائص : ١ / ٣٣.

(٢٥) ينظر : لسان العرب(قوم): ٤٩٦/١٢.

(٢٦) مدخل إلى اللغة واللسانيات :٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢٧) نظريات في اللغة : ١٤

(٢٨) علم اللغة العام : ٢٧ .
(٢٩) ينظر : دراسة الصوت اللغوي : ١٤.
(٣٠) محاولة في أصل اللغات :٢٨.
(٣١) المصدر نفسه : ٣٠.
(٣٢)محاولة في أصل اللغات : ٣٠.
(٣٣)ينظر : الصاحبي : ١٦.
(٣٤) محاولة في أصل اللغات : ٦٥.
(٣٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٣٦) الصاحبي : ٨ .
(٣٧) محاولة في أصل اللغات : ٦٥.
(٣٨) ينظر:ص: ٨ من البحث .
(٣٩) ينظر : علم اللغة : د.علي عبد الواحد وافي: ٨٨ .
(٤٠) أورد الباحث هذه النظريات باختصار للتذكير بها وهي مفصلة في مراجع عدة ، منها: دلالة الألفاظ:١٣ - ٣٧ ، علم اللغة : د.علي عبد الواحد وافي: ٨٩ - ٩٧ ، أبحاث ونصوص:٦٦ - ٨٥ ، فقه اللغة العربية وخصائصها: ١٤ - ٢١ ، نظرية اللغة في النقد الأدبي:٨٩ - ١٠٢.
(٤١) ينظر : الخصائص : ٤١/١ ، ٤٧.
(٤٢) المصدر نفسه : ٤٠/١.
(٤٣) محاولة في أصل اللغات : ٥٣.
(٤٤) ينظر: الخصائص :٤٧/١.
(٤٥) الخصائص: ٤٠/١.
(٤٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٤٧) المصدر نفسه :٤٠/١ - ٤١.
(٤٨) المصدر نفسه: ٤٧/١.
(٤٩).المصدر نفسه والصفحة نفسها.
(٥٠) ينظر : المصدر نفسه: ٤٦ - ٤٧.
(٥١) فلسفة اللغة : ٩٠ .
(٥٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها .
(٥٣) محاولة في أصل اللغات : ٣١ .
(٥٤) المصدر نفسه : ٥٨ .
(٥٥) ينظر:علم الدلالة:د.أحمد مختار عمر:١٨.
(٥٦) ينظر:ص:٨ من البحث.
(٥٧) ينظر:الكشاف :١٥٤/١-١٥٥.
(٥٨) فلسفة اللغة :٢٥ .
(٥٩) ينظر: الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية: ١٤٠ - ١٤١.

(٦٠) الخصائص: ١/ ٤٤ .
(٦١) المصدر نفسه : ٤٥/١ .
(٦٢) محاولة في أصل اللغات: ٥٤ .
(٦٣) ينظر: ص : ٧-٨ من البحث.
(٦٤) علم الدلالة:(بيار غيرو): ١٩ .
(٦٥) الخصائص: ٤٦/١-٤٧.
(٦٦) ينظر:الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: ٢٧٥.
(٦٧) ينظر:علم الدلالة(د.أحمد مختار عمر):١٩، فلسفة اللغة:٢٥.
(٦٨) ينظر :ص: ٩ من البحث .
(٦٩) محاولة في أصل اللغات:٣٣.
(٧٠)المصدر نفسه : ٣٤.
(٧١) المصدر نفسه ٣٥.
(٧٢) محاولة في أصل اللغات : ٣٨.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- أبحاث ونصوص في فقه اللغة العربية: د.رشيد عبد الرحمن العبيدي،مطبعة التعليم العالي ، بغداد،١٩٨٨م .
- أساسيات اللغة:(رومان جاكوبسن و موريس هالة)،ترجمة :سعيد الغانمي،المركز الثقافي العربي، بيروت ـ الدار البيضاء ، ط١ ،٢٠٠٨م.
- أسرار البلاغة:عبد القاهر الجرجاني،صححه وعلق عليه:السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.
- أسس علم اللغة: ماريو باي ، ترجمة: د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٨، ١٩٨٨م.
- أصوات وإشارات ، دراسة في علم اللغة: أ.كوندراتوف ، ترجمة: أدور حنا ، وزارة الإعلام ، مطبعة الجمهورية ، ١٩٦٩م.
- الاعترافات: جان جاك روسّو، فلاماريون ، باريس ، د.ت.
- الآيدلوجيا واللغة:(جون إي.جوزيف و تالبوت جي.تيلر) ، ترجمة وتعليق: باقر جاسم ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ،٢٠٠٨ م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي ، تح: محمد عبد الرحيم ، دار الفكر ، بيروت ، ط١، ٢٠٠٥م.
- البلغة في تأريخ أئمة اللغة: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(٨١٧هـ) ، تح: محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق،١٩٧٢م.
- التواصل اللساني والشعرية: الطاهر بن حسين بومبزر، الدار العربية للعلوم، الجزائر، ط١ ،٢٠٠٧م.
- الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان.
- دراسة الصوت اللغوي: د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب بالقاهرة ، ٢٠٠٤م.
- دراسات في فقه اللغة: د.صبحي الصالح ، دار العلم للملايين، ط١٨ ،٢٠٠٧م.

- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: د.حسام سعيد النعيمي، دار الرشيد للنشر،١٩٨٠م.
- دلالة الألفاظ: د.إبراهيم أنيس ، مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٧٧ م.
- دور الكلمة في اللغة: ستيفن أولمان، ترجمة: د.كمال محمد بشر، المطبعة العثمانية، ط١٩٧٢،٣م.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:بهاء الدين عبد الله بن عقيل ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر، ط ١٥، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م.
- شرح الرضي على الكافية ، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر ، جامعة قار يونس ،١٣٩٨ هـ=١٩٧٨م.
- الصاحبي: أحمد ابن فارس(٣٩٥هـ) ، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار إحياء الكتب العربية ،١٩٧٧م.
- علم الدلالة: (بيار غيرو) ، ترجمة: انطوان أبو زيد ، منشورات عويدات، بيروت ـ باريس ، ط ١٩٨٦،١م.
- علم الدلالة: د.أحمد مختار عمر، جامعة الكويت ،ط١ ،١٩٨٢م.
- علم اللغة بين القديم والحديث: د.عبد الغفار حامد هلال ، القاهرة ، ط٢٠٠٢،٤م.
- علم اللغة : د.علي عبد الواحد وافي ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، ط١٩٥٧،٤م.
- علم اللغة العام: فرديناندي سوسير، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، بغداد ،١٩٨٥م.
- علم اللغة(مقدمة للقارئ العربي): د.محمود السعران ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،د.ت.
- فقه اللغة العربية وخصائصها: د.إميل بديع يعقوب ، ط٢، ١٩٩٩م.
- فقه اللغة المقارن: د.إبراهيم السامرائي ، دار العلم للملايين ، بيروت ،١٩٦٨م.
- فلسفة اللغة: سيلفان أورو، ترجمة: عبد المجيد جحفة ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ،ط١ ،٢٠١٠م.
- الفلسفة اللغوية: جرجي زيدان ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،ط١، ١٩٨٧م.
- الكتاب،كتاب سيبويه(أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ١٨٠هـ) ، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط١، ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري(٥٣٨هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ=١٩٧٧م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي(٧١١هـ) ، دار صادر،بيروت ، د.ت.
- اللغة بين المعيارية والوصفية: د.تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط٤، ٢٠٠١م.
- اللغة العليا(النظرية الشعرية): جون كوين ، ترجمة: د. أحمد درويش ، المجلس الأعلى للثقافة ،١٩٩٥م.
- اللغة: فندريس ، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص ، لجنة البيان العربي، القاهرة ،١٣٧٠هـ=١٩٥٠م.
- اللغة والعقل واللغة والطبيعة: نعوم جومسكي ، ترجمة:رمضان مهلهل ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ط١، ٢٠٠٥م.
- محاولة في أصل اللغات: (جان جاك روسّو) ، تعريب: محمد محجوب، تقديم: د.عبد السلام المسدي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد،١٩٨٦م.
- مدخل إلى اللغة واللسانيات: جون ليونز، ترجمة :حمزة المزيني، مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض، ٢٠٠٤م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها: جلال الدين السيوطي ، تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، د.ت.
- نظريات في اللغة: أنيس فريحة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ط١، ١٩٧٣م.
- نظرية اللغة في النقد العربي: عبد الحكيم راضي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠٣م.